اعتقد انه على خير اما في العاجل واما في الاجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور وان اختلفت اصناف
غرورهم واختلفت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم اظهر واشد من بعض واظهرها واشدها غرور
غرور الكفار وغرور العصاة والفساق فنورد لهما امثلة لحقيقة الغرور. المثال الاول
غرور الكفار فمنهم من غرته الحياة الدنيا ومنهم من غره بالله الغرور اما الذين غرتهم الحياة الدنيا فهم
الذين قالوا النقد خير من النسيئة والدنيا نقد والاخرة نسيئة فاذا الدنيا خير فلا بد من ايثارها
وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الاخرة شك فلا نترك اليقين بالشك وهذه
اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس اذ قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والى هؤلاء
الاشارة بقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون
وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بالبرهان اما التصديق بمجرد الايمان فهو ان يصدق
الله في قوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق وقوله وما عند الله خير وابقى وقوله وما الحياة
الدنيا الا متاع الغرور وقوله فلا تغرنكم الحياة الدنيا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك
طوائف من الكفار فصدقوه وامنوا به ولم يطالبوه ببرهان ومنهم من قال نشدتك الله ابعثك
الله رسولا فكان يقول نعم فيصدق فهذا ايمان العامة وهو مخرج من الغرور وينزل هذا منزلة
تصديق الصبي والده في ان حضوره المكتب خير من حضور اللعب مع انه لا يدري وجه كونه خيرا
واما المعرفة بالبرهان فهو ان يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان
فان كل مغرور فلغروره سبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في
النفس ويورث السكون اليه وان كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بالفاظ العلماء فالقياس
الذي نظمه الشيطان اصلان احدهما ان الدنيا نقد والاخرة نسيئة وهذا صحيح والاخر قوله
ان النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبيس فليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئة في
المقدار والمقصود فهو خير وان كان اقل منها فالنسيئة خير فان هذا المغرور الكافر يبذل
في تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا اتركه واذا حذره
الطبيب الفاكهة ولذائذ الاطعمة تركها في الحال خوفا من الم المرض في المستقبل فقد ترك
النقد ورضي بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار والقفار ويتعبون في الاسفار لنقد الاجل

الربح والراحة نسيئة فان كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فانسب لذة الدنيا من
حيث اضافة مدتها الى مدة الاخرة فان اقصى عمر الانسان مائة سنة وليس هو عشر عشير من جزء من الف
جزء من الاخرة فكانه ترك واحدا ليأخذ الف الف بل ليأخذ ما لا نهاية له وان نظر من حيث النوع رأى
لذات الدنيا مكدرة مشوبة بانواع المنغصات ولذات الاخرة صافية غير مكدرة فاذا
قد غلط في قوله النقد خير من النسيئة وهذا غرور منشؤه قبول لفظ عام مشهور اطلق واريد به
معنى خاص فغفل المغرور عن خصوص معناه فان من قال النقد خير من النسيئة انما اراد به خيرا من نسيئة هو
مثلها وان لم يصرح به وعند هذا يفزع الشيطان الى القياس الاخر وهو ان اليقين خير من
الشك والاخرة شك وهذا القياس اكثر فسادا من الاول لان كلا اصليه باطل اذ اليقين
خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر في تعبه على يقين وفي ربحه على شك والمتفقه في اجتهاده
على يقين وفي ادراكه رتبة العلم على شك والصياد في تردده في المقتنص على يقين وفي
نيل الصيد على شك وكذلك الحزم دأب العقلاء بالاتفاق وكل ذلك ترك اليقين بالشك ولكن
التاجر يقول ان لم اتجر بقيت جائعا وعظم ضرري وان اتجرت كان تعبي قليلا وربحي كثيرا
وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الصحة على شك ولكن يقول ضرر
مرارة الدواء قريب بالاضافة الى ما اخافه من المرض والموت فكذلك من شك في الاخرة فواجب
عليه بحكم الحزم ان يقول ايام الصبر ايام قلائل وهو منتهى العمر وهو قريب بالاضافة الى ما يقال من امر
الاخرة فان كان ما قيل فيه من ذلك كذبا فما يفوتني الا التنعم ايام حياتي وقد كنت في
العدم من الازل الى الان لا اتنعم فاحسب اني بقيت في العدم وان كان ما قيل صدقا فابقى
في النار ابد الاباد وهذا لا يطاق ولهذا قال علي رضي الله عنه لبعض الملحدين المنكرين للبعث
ان كان ما تقوله حقا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت
وما قال هذا عن شك منه في الاخرة ولكن كلم الملحد على قدر عقله وبين له بالدليل العقلي انه وان
لم يكن متيقنا فهو مغرور واما الاصل الثاني من كلامه وهو قوله ان الاخرة شك فهو
ايضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان احدهما الايمان والتصديق تقليدا
للانبياء والعلماء وذلك ايضا يزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام واكثر الخواص ومثاله مثال